جامعة الانبار

الكلية : التربية الأساسية / حديثة

القسم : التاريخ

أسم التدريسي : م.د. احمد شهاب أحمد

المرحلة: الثالثة

الفصل الدراسي: الثاني

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ الدويلات الاسلامية في المشرق الاسلامي

اسم المادة باللغة الانكليزية : History of Islamic states in the Levant

اسم المحاضرة باللغة العربية: دور الطاهريون في المشرق الاسلامي وعلاقتهم بالخلافة العباسية

اسم المحاضرة باللغة الانكليزية: The role of the Tahiris in the Islamic East and their relationship with the Abbasid Caliphate

❁ الطاهريون في المشرق الاسلامي وعلاقتهم بالخلافة:

قدم الطاهريون خدمات جليلة للخلافة العباسية في شته الميادين العسكرية منها والمدنية، فبادلتهم الخلافة ذلك وأسندت إليهم مناصب هامة فقاموا بواجبهم على ما كانت تصبوا اليه الخلافة.

أسند الخليفة المأمون مهمة مواصلة القضاء على ثورة نصر بن شبت العقيلي، الى عبد الله بن طاهر بن الحسين ، وقد نجح عبد الله في تحقيق انتصارات طيبة في هذه الجبهة وقد أثلجت هذه الانتصارات صدر والده الذي أرسل الى رسالة يحثه فيها على مواصلة العمل لخدمة الخلافة ونشر العدل واقامة الدين وجاء فيها ((... فعليك بتقوه الله وحده لا شريك له ... فإن الله قد أحسن إليك وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عبادك ، والقيام بحقه وحدوده فيهم والذب عنهم... والحق لدمائهم والأمن لسبيلهم وادخال الراحة عليهم... وليكن أول ما تلزم لنفسك المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس ... ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تثمر واذا كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف المؤونة عنهم نمت)).

وجاء فيها أيضاً : ((ولا تتهمن أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره... وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ... وإذا عاهدت عهداً ففي به)). لله در طاهر بن الحسين فقد جاءت رسالته جامعة مانعة وهي في الحقيقة غنية عن التعليق ويكفي رأي الخليفة المأمون في هذه الرسالة إذ علق عليها قائلاً : ((ما بقي أبو الطيب يعني طاهر بن الحسين ـ شيئاً من أمور الدين والدنيا والتدبير والرأي والسياسة وإصلاح الملك وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصه به)).

واصل عبد الله بن طاهر محاولاته للقضاء على ثورة نصر التي أقضت مضاجع الخلافة وأرهقتها وهزت مكانتها لهذا لم تتردد الخلافة في إرسال الحملات تلو الحملات إلا أن نصر كان يواجهها بقوة وجسارة، ومن ألامور التي كانت تؤرق الخلافة في هذه ألاحداث هو خوفها من انضمام القبائل العربية في بلاد الشام الى ثورة نصر فيزداد ويتسع الخلاف لتصبح دائرة الصراع تتخذ طابعاً إقليميا ما بين العراق والشام. وبسبب مواصلة القتال شعر نصر بضعف موقفه وأنه لا يستطيع أن يواصل فطلب الأمان له ولمن معه، ويبدو أن الخلافة هي الأخره كانت قد تعبت وأرهقت فوافقت على إعطائه الأمان ، وجاء في رسالة وصلت الى نصر بن شبت ((فإن كنت للدين تسعه بما تصنع فأوضح ذلك لأمير المؤمنين... وان كنت للدنيا تقصد فاعلم أمير المؤمنين غايتك فيها ... فإن استحققتها وأمكنه ذلك فعلى بك)). وهكذا أجهض الطاهريون ثورة كانت من الممكن ان تزعزع أمن الخلافة .

كذلك أسند الخليفة المأمون الى عبد الله بن طاهر مهمة القضاء على الثورة التي تفجرت في مصر عام ٢١١هـ / ٨٢٦م إذ توجه عبد الله على رأس قواته الى مصر، وعندما وصل الى هناك كتب الى عبد لله بن السري رسالة يطلب فيها إنهاء التمرد، ولكن أبن السري لم يستجيب لطلب المأمون وانما حاول أن يقدم لو رشوة على يكسبه الى جانبه وكانت مكونة من ألف وصيف ووصيفة ومع كل واحد منهم ألف دينار وسيرهم ليلاً فردهم أبن طاهر وكتب إليه: ((لو قبلت هديتك نهاراً لقبلتها ليلاً بل أنتم بهديتكم تفرحون، أرجع إليهم فلنأتنيهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون)). ضرب عبد لله بن طاهر حصاراً شديداً على مدينة الفسطاط وقد تحسن موقفه عندما وصلت إمدادات من بغداد بالإضافة الى انضمام علي بن عبد العزيز الجروي الذي كان منافساً لإبن السري في مصر وعندما طال الحصار وشعر ابن السري ورجالى بالضيق والقلق طلبوا ألأمان لأنفسهم فأمنهم عبد الله بن طاهر .

ان من الطبيعي أن تكسب هذه انتصارات عبد الله بن طاهر مكانة عالية في بلاط المأمون ،

وقد كان هذا مدعاة لتدخل بعض المقرضين والوشاة الذين حاولوا تحريض الخليفة ضد عبد الله بن طاهر وأوعزوا إليه بضرورة اختبار مده إخلاصه وولائه للدولة ، ورغم ثقة المأمون في قائده إلا أنه أراد أن يقطع الشك باليقين ، فأرسل الى مصر جماعة لا يشك عبدالله بن طاهر في نواياهم ولمحوا له إمكانية الإنفصال عن الخلافة وأنه لديه الامكانيات التي تلكنه من ذلك إلا أن أبن طاهر رد عليهم بصوت عال أنه يرفض هذا الامر وأنه لن يخون اليد التي أنعمت عليه وطلب منهم عدم تكرار هذا الحديث أمامه. علم المأمون بحقيقة هذا الامر فزاد تقديره واعجابه بهذا القائد وأظهر بذلك عبر رسالة كتبها وزير المأمون الى عبد الله جاء فيها : ((فإنا ومن قبلنا نتذكر سيرتك، حربك وسلمك ونكثر التعجب لما وفقت له من الشدة واللهان ومواضعهُما، ولا نعلم سائس جند ولا رعية عدل بينهم عدلك ولا عفا بعد المقدرة عمن أسفه)). ولكي يدلل على هذه الثقة بصفة عملية أسند الخليفة ولاية مصر الى عبد لله ولاية عامة (أي له الصلاة والخراج) وبعد أن أطمأن عبد الله الى عودة البدوء والطمأنينة الى مصر أستأذن الخليفة في العودة الى بغداد، وكان في استقبالى كبار رجال الأسرة العباسية وأعيان الدولة وعلى رأسهم العباس بن المأمون وأخوه المعتصم ، هذا ومن الجدير بالذكر أن الطاهريون تبوأ المناصب العالية فهاهم يتولون شرطة بغداد، إذ كان صاحب الشرطة ينوب عن الخليفة في حالة غيابه عن بغداد فاسحاق بن إبراهيم الطاهري ناب عن المأمون في بغداد عندما خرج الأخير لحرب الروم، وعند غياب الخليفة لا تقتصر مهام صاحب الشرطة على النظر في المظالم ، وانما يصبح مفوضاً من قبل الخليفة في مراقبة شؤون الدولة، فقد قام اسحاق وبأمر من الخليفة المأمون بامتحان العلماء والقضاة ومعاقبة من لم يقر منهم بالقول بخلق القران .

هذا وقد زاد نفوذ الاسرة الطاهرية قوة في عهد الخليفة المعتصم بالله الذي أقام في سامراء تاركاً بغداد للطاهريين كنواب عنه وهنا يصبح الأمير الطاهري بمثابة الحاكم العسكري العام لبغداد نيابة عن الخليفة ورغم ذلك فأن بعض المصادر تحاول أن تضلل القارئ حول الشك في علاقة الأسرة الطاهريه بالخلافة العباسية أثناء حكم الخليفة المعتصم بالله.

ويبدو أن العلاقة ظلت بين الطرفين طيبة مبنية على التعاون والتعاضد فلا عجب أن يعتبر الطاهريون أنفسهم حراساً للمملكة وهذا يظهر من خلال دورهم في الحرب الأهلية التي وقعت بين الأخوين المستعين والمعتز، إذ توقفت الحرب بفضل تدخلهم ونجاحهم في إقناع الخليفة المستعين، أن يتخله عن الملك لأخيه اي لانهم ؛ أي الطاهريون ومن يقف الى جانبهم أدركوا بأن الامور تسير في غير صالحهم وأن كفة الاتراك المساندين للمعتز أكثر رجحاً . يضاف الى ذلك ان الطاهريين ساعدوا الخلافة في القضاء على العلويين وثوراتهم، ففي عام ٢٥٠هـ / ٨٦٤م ظهر يحيه بن عمر في الكوفة ووجد من يناصره هناك فقام محمد بن عبد لله بإرسال قوات مسانده الى وأليه على الكوفة حته تلكن من هزيمة يحيه بن عمر ومقتله، وحمل رأسه الى الخليفة في بغداد، وفي عام ٢٥٣هـ / ٨٦٧م توفي محمد بن عبد الله بن طاهر، فألت الامارة الى أخيه عبيد الله ويذكر أن الخليفة المعتز حزن حزناً شديداً على وفاة محمد بن عبد الله، وعلى حد قول الخليفة أن الاتراك كانوا يخشون بأس الامير الطاهري ويحرصون على أرضاء الخليفة خوفاً من مناصره الطاهريين له في بغداد.

❁ دور الطاهريين في أحداث المشرق الاسلامي

ظهرت في المشرق الإسلامي مجموعة من الحركات الاستقلالية هددت سيادة الخلافة وهيبتها في تلك المناطق، مما دفع بالخلافة وأبناء الاسرة الطاهرية أن يقفوا ضد هذه الحركات بالمرصاد والمطاردة وقد اعتمت الخلافة على الطاهريين في تلك المناطق اعتماداً يكاد يكون كلها. و كانت أكثر هذه الحركات خطورة تلك التي قادها بابك الخرمي في منطقة أذربيجان عام ٢٠١هـ وانتشرت آراءه في المناطق المجاورة لها ومما زاد في خطورة هذه الحركة تلقيها المساعدات من العدو البيزنطي الذي كان يعادي الخلافة، وفي أول الأمر أسند الخليفة المأمون محاربة بابك الى محمد بن حميد الطائي ودارت بين الطرفين ست حروب طاحنة قتل خلالها محمد بن حميد، فحزن عليه الخليفة المأمون وتعاظم أمر بابك وهنا اسند الخليفة قيادة القوات الى عبد الله بن طاهر الذي أخذ بدوره يستعد للمواجهة، وسار على رأس قواته صوب أذربيجان إذ كان يقيم بابك الخرمي . فوقعت بين الطرفين صدامات متعددة اجبر على أثرها بابك على التقهقر الى جبال أذربيجان وفي هذا الاثناء أضطر عبد الله بن طاهر على العودة الى خراسان بعد أن استأذن الخليفة المأمون قال لو بسبب فتنة أثارها الخوارج في نيسابور وقتلهم للناس وسلبهم اموالهم، أخذ عبد الله في مطاردة الخوارج حته قضه على فتنتهم في خراسان وكان من ضمن العوامل التي شجعت عبد الله العودة الى خراسان هو محاولة منع تسرب آراء وأفكار بابك الخرمي الى خراسان، وحته لا يفكر أحد في الانضمام إليه في تلك المنطقة وقد نجح عبد الله في القضاء على مجمل الفتن والاحداث التي أربكت الوضاع في خراسان، وقام بعزل نائبه على نيسابور لجشعه وسوء تصرفاته . وبعد وفاة الخليفة المأمون وولاية المعتصم أسند هذا مهمة القضاء على ثورة بابك الى أحد أبناء الطاهريين وقد نجح هذا في هزيمة بابك هزيمة ساحقة حته ذاع صيت هذا الامير الآفاق نتيجة انتصاراته ومع ذلك فلم يتمكن من القضاء على ثورة بابك بشكل نهائي.

لكن هذه النزائم التي مني بها بابك كانت المقدمة الطبيعة للقضاء على ثورتة على يد أحد القادة الأتراك وهو الأفشين. وهناك ثورة أخره تفجرت في طبرستان على يد المازيار بن قارن وتذكر بعض المصادر أن المازيار قد أرتد عن الإسلام إلى المزدكية وحمر اللباس هذا ومن المعروف أن خراج طبرستان كان يدفع إلى الدولة الطاهرية في خراسان ومع ذلك كان المازيار يرفض إرسال الأموال إلى عبد الله الطاهري ؛ والسبب في ذلك وجود نفرة بين عبد الله والمازيار وكان الخليفة يرسل من يستلم الخراج من أصحاب المازيار بـ (همذان) ويسلمه الى وكيل عبد الله بن طاهر يرده الى خراسان وكان هذا التصرف إجراء احترازي لتفادي تطور الموقف بين الطرفين .

لم يطل أمد الاستقرار بينيما إذ امتنع المازيار عن دفع ألاموال للطاهريين وتمادى أكثر من ذلك فطلب من الطاهريين أن يعيدوا الاموال التي دفعت اليهم وأن يقوموا بدورهم بدفع الخراج له. وكان هذا الموقف الجديد بمثابة تمرد يعلنه المازيار ليس ضد الطاهريين فحسب وإنما ضد الخلافة العباسية التي تقف وراء الطاهريين وتدعمهم.

وعلمت الخلافة هذا التطور فكتب المعتصم بالله الى عبد الله بن طاهر يعبر له عن ثقته ويطلب منه تأديب المازيار والقضاء على تمرده فأخذة عبد الله يعد العدة وأرسل جيش بقيادة أحد أعمامه وجيشاً آخر بقيادة حيان بن جبلة ، وطلب عبد الله من أقاربه في بغداد وبالتنسيق مع الخلافة أن يرسلوا جيشاً ثالثاً فتوجه الجميع الى إذ يتمركز المازيار الذي حوصر وهزم هزيمة نكراء وألقى القبض عليه في عام ٢٢٧هـ ، ويذكر أن المازيار أعترف لعبد الله بن طاهر أنه كان ينفذ مخططاً خطيراً اتفق عليه مع كل من بابك الخرمي والأفشين للقضاء على الدولة العباسية، وكان على الألفشين بموجب هذا الأتفاق قتل الخليفة المعتصم بالله وأبناءه وهناك معلومات عن كراهية الأفشين للعرب وتحيزه للعجم ونسب إليه أنه كان يقول إذا ظفرت بالعرب شدخت رؤوس عظمائهم بلادبوس، وكان

أصحابه وأهل ولايته (بلدته) من الفرس إذا بعثوا رسالة إليه حرروها بإسم ((الى اله الالهة)) وهو لقب كان يفضله الأفشين، كما أن هناك معلومات عن مراسلات بينه وبين المازيار وبابك الخرمي إذ كان المازيار يرسل الكتب لبابك الخرمي ويعده بالنصر، ورغم هذه الوقائع الا أننا نعتقد أن ما ذكره بعض المؤرخين عن رغبة هؤلاء في إسقاط دولة العباسيين أمر مبالغ فيه، لانه ليس لديهم تلك الامكانات المادية والمعنوية ما يمكنهم من تنفيذ مخططهم ، هذا من ناحية ، من ناحية اخرى فأن الخلافة كانت حتى هذه الفترة لا تزال قوية رغم كل ما مر من أزمات ومشاكل ، وفي اعتقادي أن هؤلاء كانوا يتطلعون فقط الى الاستقلال بأنفسهم كلُ في منطقته كما هو الحال مع بعض حكام الأقاليم والأسر التي تمكنت من إقامة كيان لها.

وعلى العموم أرسل المازيار الى الخليفة المعتصم بالله إذ اعترف ثانية بجريمته أمام الخليفة الذي أمر بدوره بإلقاء القبض على الأفشين وتم إعدامهما وفي راوية أخرى يذكر الكرديزي: أن المعتصم حكم على المازيار خمسمائة جلدة فمات في نفس اليوم وعادت طبرستان الى أحضان حكم الامارة الطاهرية التي قامت بمجهودات واضحة في مجال الفتح والتوسع في بلاد الغز إذ فتحوا أماكن لم يبلغها أحداً قبلهم .

أما عن الوضع في بلاد ما وراء النهر فإن طاهر بن الحسين قد اسند أدارتها الى أبناء الاسرة السامانية بالاتفاق مع الخليفة إذ أعطى نوح بن اسد منطقة سمرقند ثم تولى عليه١٣ نصر بن أحمد بن أسد وظلت بلاد ما وراء النهر تابعة للطاهريين حتى فصلها من الطاهريين ، ويبدو أن مشاكل الطاهريين في خراسان لم تجعلهم دائمي الاهتمام والمراقبة لهذا الإقليم فضلاً عن ذلك فإن الاسرة الطاهرية أخذ يتسرب إليها الضعف فأرادت الخلافة أن تقيم أسرة قوية في تلك المنطقة لتتخذ منها خط وجية ضد أي اعتداء على ممتلكات الخلافة في تلك المنطقة خاصة وأن الصفاريين كانوا قد بدأوا في تكوين إمارة لهم في سجستان.

قبل أن ننهي حديثنا عن نشاط الطاهريين لا بد وان نقر بأنهم قد تحمموا مسؤولياتهم أيضاً في الدفاع عن المشرق الاسلامي لا سيما في منطقة ثغر السند الذي كان عرضة لهجمات كان يشنها الأمراء الهنود كلما أتيحت لهم الفرصة ولكن عندما ضعفت الدولة الطاهرية تولى الصفاريون أمر الدفاع عن هذه المنطقة .

❁ نظام الحكم والادارة في الامارة الطاهرية

ضمت الدولة الطاهريه مساحات شاسعة من الأراضي، فإلى جانب خراسان شملت بلاد ما وراء النير واذربيجان وجرجان وطبرستان واقليم الجبال (عراق العجم) وفارس وكرمان وسجستان والاحواز، وكان حكم هذه الدولة وراثياً في ابناء الاسرة، وكان دور الخليفة في هذا الأمر قاصراً على ارسال تقميد الوالية مع خمعة وهدية وظل الأمر قائماً. على هذا النحو حتى نهاية الدولة.

اتخذ الطاهريون من مدينة نيسابور عاصمة لهم التي تركزت فيها المؤسسات والادارات الحكومية محلقة حول دار الامارة التي كانت سابقاً في مرو. وكان يعاون الامير الطاهري في ادارة دولته مجموعة من كبار الموظفين من ذوي الخبرة والكفاءة، ومن أبرزهم رئيس الحرس والحاجب وصاحب ديوان الخراج وصاحب ديوان الترقيع والخاتم والبريد، ومن الطبيعي أن يعاون كل موظف من هؤلاء مجموعة من الموظفين الاخرين الذين كانوا يتحملون مسؤولية ادارة الاجهزة المختلفة، وكانت هناك وظائف أخرى يشغلها موظفون لهم مكانة مرموقة ولا سيما سلك القضاء والحسبة الى غير ذلك.

وكغيرها من الدول ضمت الدولة الطاهرية مجموعة من الأقاليم على رأس كل اقليم حاكم أو موظف يتبع مباشرة للأمير الطاهري في العاصمة، وقد اعتاد الطاهريون على تولية عمال من أقاربهم أو ممن يثقون في ولائهم واخلاصهم، فها هو طاهر بن الحسين يقول في هذه القضية : " لا تستعين بأحد في خاص عملك إلا من ترى أن نعمته تزول بزوالها وتدوم بدوامها لك، ورغم ذلك فقد كان حكام الدولة يحاسبون عمالهم ويتقصون أخبارهم ويحثونهم على اقامة العدل ونشر الأمن والطمأنينة في ربوع البلاد، والدفاع عن أقاليمهم إذ كانت الدولة تحتفظ بجيش ضخم في نيسابور يخضع لقيادة الامير الطاهري الذي كان يقود الحملات العسكرية الى مختلف الميادين.

ولا بد أن نشير هنا الى أن أمراء الدولة كانوا يتشاورون مع الخلافة في بعض أمورهم ولا سيما تولية ولاة الاقاليم أو عمال المناطق، كما سبق وأن اشرنا الى تعيين ابناء الاسرة السامانية في بلاد ما وراء النهر كنواب عن الطاهريين، كذلك استأذن الطاهريون الخلافة عندما تحركت قواتهم ضد المازيار بن قارن والي طبرستان كما أشرنا، والا يفوتنا هنا أن نذكر أن أقاليم ومناطق الدولة كانت ترسل بخراجها السنوي الى خزانة الدولة في نيسابور وهذه بدورها كانت ترسل أموالاً سنوية الى بغداد تعبيراً عن حسن العلاقة والمودة التي تربط بين الاسرة الطاهرية والخلافة في بغداد.

المصادر والمراجع

١ – ابن الاثير ، الكامل في التاريخ

٢ – ابن كثير ، البداية والنهاية

– الطبري ، تاريخ الرسل والملوك

– ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك

هـ – ابن خلكان ، وفيات الاعيان

٦ – اليعقوبي ن تاريخ اليعقوبي

– ابن خياط ، تاريخ خليفه بن خياط

ابن قتيبة ، عيون الاخبار

٩ – ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر

١٠ – ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني

١١ – حاجي خليفه، كشف الظنون في معرفة الاسامي والفنون

١٢ – الذهبي ، تاريخ الاسلام

١٣ – السيوطي ، تاريخ الخلفاء

١٤ – المسعودي ، مروج الذهبي

١٥ – المقريزي ، كتاب السلوك

١٦ – الجوشندي، صبح الاعشى

١٧ – ولهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها

١٨ – ادم متز ، الحضارة الاسلامية

١٩ – شاكر مصطفى التاريخ العباسي

٢٠ – فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية